الرسالة إلى

تيطس

إنها رسالة قصيرة لكنها تحتوي على قدر كبير من خُلاصة العقيدة المسيحية وجوهرها، كما أنها مصبوغة بأسلوب بارع للغاية، حتى باتت تضمّ كل ما هو ضروري للمعرفة والحياة المسيحيتين

مارتن لوثر *Martin Luther*

١- المكانة الفريدة بين الأسفار القانونية

ثلاثة إصحاحات قصيرة، خطّها، قبل أكثر من تسعة عشر قرنًا، مُرسَل شيخ متقدّم في الأيام، ووجّهها إلى مُرسَل آخر مجهول في جزيرة نائية. هل يمكن أن يكون لها أية صلة وثيقة بمسيحيين يعيشون في القرن العشرين، قرن التنوير الثقافي والفكري؟ واعترافنا بأن كلمات الرسالة هي كلمات بولس (مع أن معظم اللاهوتيين العصريين لا يقبلون حتى بهذا) لا يثير إلّا اهتمام المتضلّعين من تاريخ الكنيسة أو ذوي الاختصاص في الفكر المسيحي القديم.

وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الكلمات هي أيضًا "ما يعلّمه الروح القدس"، وهي، بالتالي، تسدّ فراغًا، يعجز عن سدّه أي كتاب آخر. إن معالجة موضوع الشيوخ يدعم التعليم نفسه الوارد في ١ تيموثاوس ويسنده. وهذا التكرار ليس بزائد عن الحاجة، بل هو، نظير النصوص المتوازية العديدة في الكتاب المقدس، ولا سيّما في العهد القديم، يشدّد على مدى رغبة الله في أن يدرك شعبه هذه المبادئ.

لعلّ تيطس ٢: ١١-١٤ هو النص الأكثر بروزًا في هذه الرسالة، وهو يعزّز عقيدة النعمة بأسلوب رائع ومتّزن.

٢ـ الكاتب

راجع مقدّمة الرسائل الراعوية طلبًا لبحث حول هوية كاتب الرسالة إلى تيطس.

٣ـ التاريخ

يعتقد الدارسون المحافظون أن كتابة رسالة تيطس قد تمّت في نحو الوقت عينه لكتابة ١ تيموثاوس، أو بعده بقليل، وذلك لتشابه المواضيع والكلمات في كلتا الرسالتين. وعلى كل حال، فقد حصل ذلك في الفترة الزمنية الواقعة ما بين كتابة ١ تيموثاوس و٢ تيموثاوس، وليس بعد ٢ تيموثاوس. ومع أنه يستحيل تحديد تاريخ معيّن لكتابتها، فمن المحتمل أن تكون قد كتبت في الفترة الممتدّة ما بين سنة ٦٤-٦٦م. كذلك يُرجّح أن يكون مصدرها مكدونية.

٤ـ الموضوع الرئيسي

إضافة إلى المواضيع العامة المشتركة بين كل من رسالة تيطس، والرسالتين الراعويتين الأخريين (راجع مقدمة الرسائل الراعوية)، تعرض رسالة تيطس ملخّصًا رائعًا للطريقة التي على أساسها ينبغي للمؤمن أن يزيّن تعليم النعمة بالتقوى وبالأعمال الصالحة. يكاد العديد، اليوم، من الذين يظهر عليهم أنهم مسرورون بتعليم النعمة، يُبدون عدم اهتمامهم بالأعمال الصالحة، أو حتى بالتقوى. هذا الموقف هو غير سليم، ويوحي بعدم إدراك للنعمة الحقيقية.

يوجز بولس هذا الموضوع الرئيسي على نحو كامل: «صادقة هي الكلمة وأريد أن تقرّر هذه الأمور لكي يهتمّ الذين آمنوا بالله أن يمارسوا أعمالاً حسنة» (٣: ٨).

التقسيم

١ـ التحية	(١: ١ـ ٤).
٢ـ شيوخ في الجماعة	(١: ٥ـ ٩).
٣ـ ضلال في الجماعة	(١: ١٠ـ ١٦).
٤ـ حياة عملية في الجماعة	(٢: ١ـ ١٥).
٥ـ مناشدات في الجماعة	(٣: ١ـ ١١).
٦ـ الخاتمة	(٣: ١٢ـ ١٥).

التفسير

١ـ التحية (١: ١ـ٤)

١ : ١ كان **بولس عبدَ الله ورسولَ يسوع المسيح** في آن. تبرزه الصفة الأولى **كعبد** للسيّد الأسمى؛ أمّا الثانية، فتصوّره كمبعوث من قِبل الرب صاحب السلطة المطلقة. الأولى تشير إلى الخضوع، والثانية إلى السلطان. لقد أصبح عبدًا على أساس تكريس شخصي، ورسولاً بتعيين إلهي.

كانت خدمته تهدف إلى تعزيز **إيمان مختاري الله ومعرفة الحق**. إن تعزيز إيمانهم قد يعني إمّا الإتيان بهم إلى الإيمان واختبار الخلاص، كمرحلة أولى، وإمّا نموّهم في الإيمان بعد الخلاص. وبما أن العبارة **معرفة الحق**، تبدو كأنها تتناول المعنى الثاني، نفهم أن الرسول قصد أن يكون هدفاه الرئيسيان: ١ـ التبشير — تعزيز إيمان مختاري الله، ٢ـ التعليم — تعزيز معرفتهم بالحق.

نجد في هذه الآية صدى للآية في متى ٢٨: ٢٠ الكرازة بالإنجيل لجميع الأمم، وتعليمهم أن يحفظوا جميع ما أوصاهم به المسيح. إن الرسول، باعتباره أنه مدعو إلى تعزيز إيمان مختاري الله، يواجهنا بعقيدة الاختيار. وقليلة هي العقائد الكتابية التي أُسيء فهمها، أو أثارت جدلاً حاميًا وأرهقت الأذهان أيّما إرهاق، أكثرَ مما فعلت هذه العقيدة. إنها تعلّم باختصار أن الله اختار في المسيح أناسًا معيّنين قبل تأسيس العالم، ليكونوا قديسين وبلا لوم أمامه (أف ١: ٤)*.

بعد أن تحدّث بولس عن رسوليته، معتبرًا أن لها علاقة **بإيمان مختاري الله ومعرفته بالحق**، عاد فأضاف أن هذا الحق هو **حسب التقوى**. وهذا يعني أن الإيمان المسيحي ينسجم مع القداسة الحقيقية، ومن شأنه اقتياد الناس إلى التقوى العملية. إن صحة الإيمان تتطلب نقاوة في الحياة. ليس هناك من عدم انسجام في الحياة كالذي يوازي واعظًا قيل فيه: "عندما كان على المنبر، كان الناس يرغبون ألاّ يبرح من مكانه. وعندما كان بعيدًا عن المنبر، كانوا يودّون لو يبقى دون اعتلائه".

١ : ٢ لمهمّة بولس المتعلّقة بالإنجيل بُعد عظيم ثالث. فهي لم تكن تُعنى بالتبشير لتعزيز إيمان مختاري الله، في ما يتعلق بالماضي؛ وبالتعليم لتعزيز معرفتهم بالحق، في ما يتعلّق بالحاضر، وحسب؛ بل أيضًا بالتوقّع: على **رجاء الحياة الأبدية**، في ما يتعلّق بالمستقبل.

يتحدّث العهد الجديد عن الحياة الأبدية كاقتناء حاضر وكرجاء للمستقبل في آن واحد. لا تتضمّن الكلمة **رجاء** فكرة عدم اليقين. ففي اللحظة التي نثق بالمسيح مخلّصًا لنا، يكون لنا حياة أبدية كاقتناء حاضر (يو ٥: ٢٤)، ونصبح ورثة لفوائد عمله الخلاصي جميعها، لكن لن يتسنّى لنا أن نختبر التمتّع الفعلي بها جميعها، إلاّ حين نبلغ بيتنا الأبدي. إنّنا نرجو - بمعنى إنّنا نتطلّع قُدمًا إلى - **الحياة الأبدية** في شكلها النهائي عندما سنحصل على أجسادنا الممجّدة ونتحرّر إلى الأبد من الخطية، والحزن، والألم، والموت (في٣: ٢٠، ٢١؛ تي٣: ٧).

هذا الرجاء مؤكّد ويقيني، لأن الله هو الذي وعد به. لا شيء يقيني كالكلمة التي من **الله المنزّه عن الكذب**، والذي لا يمكن خداعه، وهو لا يخدع أحدًا.

*أنظر تفسير أفسس ١ ورومية ٩ لبحث أشمل في موضوع الاختيار.

فالإيمان بما يقوله تعالى ليس مجازفة. وفي الواقع، لا شيء منطقي أكثر من أن يصدّق المخلوق خالقه.

الله وعد بالحياة الأبدية **قبل الأزمنة الأزلية** أو (قبل بدء الزمان، في الأزل). وقد نفهم هذا بطريقتين: أولاً، الله قرّر في الأزل أن يمنح الحياة الأبدية لجميع الذين يؤمنون بالرب يسوع، وقراره هذا كان بمثابة وعد. وثانيًا، كانت بركات الخلاص جميعها متضمَّنة على شكل وعد بالمسيّا المذكور في تكوين ٣: ١٥. وقد حصل ذلك قبل عصور الزمن، أو في بداية ظهور الحقبات.

١: ٣ في الأوقات الخاصة، عرّف الله ببرنامج الحياة الأبدية المجيد هذا، والذي كان قد قرّره في الدهور السابقة. لم يَقُم بإعلانه تمامًا خلال فترة العهد القديم، إذ كان لدى المؤمنين آنذاك فكرة غامضة تمامًا عن الحياة بعد الموت، لكن سرعان ما زال هذا مع مجيء المخلّص. فهو «أنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل» (٢تي١: ١٠). وهذه الأخبار السارة، أذاعها بولس مع سائر الرسل **بحسب أمر مخلّصنا الله**، إي إطاعة للمأمورية العظمى.

١: ٤ هذه الرسالة موجّهة إلى تيطس، ابن بولس الصريح حسب الإيمان المشترك. لكن، من هو تيطس؟

نحتاج إلى أن نقتفي سيرة حياته من اقتباسات متفرّقة في ثلاث من رسائل بولس. كان تيطس يونانيًا في ولادته (غل٢: ٣)، ويُرجّح أنه وُلد ثانية بالإيمان بالرب يسوع من خلال خدمة بولس (تي١: ٤). كانت المعركة آنذاك محتدمة حول ماهية الإنجيل الحقيقي. فمن جهة، وقف بولس مع جميع الذين علّموا أن الخلاص هو بالنعمة من طريق الإيمان فقط، ومن جهة أخرى، وقف المتهوّدون الذين أصرّوا على الختان (وبالتالي حفظ الناموس) وقالوا إنه شرط للمواطنية من الدرجة الأولى في ملكوت الله. بات تيطس على المحكّ في هذه المشاجرة، فأخذه بولس وبرنابا إلى أورشليم (غل٢: ١) لحضور مجمع الرسل والشيوخ. وقرّر المجمع أنه لا يحتاج رجل من الأمم كتيطس إلى أن يخضع للنواميس والشعائر اليهودية للحصول على الخلاص (أع١٥: ١١). لم يكن الأمم يحتاجون إلى أن يصبحوا يهودًا، ولا اليهود أممًا. لكن بالحري، أصبح اليهود وأهل الأمم خليقة جديدة عندما آمنوا بيسوع.

من ثم أصبح تيطس أحد المساعدين الأكثر نفعًا لبولس، كحلّال العقد، في كورنثوس وكريت. أرسله الرسول أولاً من أفسس إلى كورنثوس، لكي يصحّح، على ما يبدو، بعض التشويشات العقائدية والأدبية في الجماعة هناك. وعندما عاد تيطس لينضمّ إلى بولس في مكدونية، ابتهج بولس جدًا لدى سماعه بأن الكورنثيين تجاوبوا بانفتاح مع توجيهاته الرسولية (٢كو٢: ١٢، ١٣؛ ٧: ٥-٧، ١٣-١٦). ومن مكدونية، أرسل بولس تيطس مجدّدًا إلى كورنثوس، وهذه المرة لتوصيل ما تمّ جمعه لفقراء القديسين في أورشليم (٢كو٨: ٦، ١٦، ١٧؛ ١٢: ١٨). وقد وصفه بولس قائلاً إنه «شريك لي وعامل معي لأجلكم» (٢كو ٨: ٢٣). لا نعرف تمامًا متى كان بولس مع تيطس في كريت، لكن ما يُعتقد هو أنه تمّ ذلك بعد حبس بولس الأوّل في روما.

ذُكر تيطس آخر مرّة في ٢ تيموثاوس ٤: ١٠. لقد كان مع بولس خلال فترة من حبسه الثاني، لكن بولس يصرّح، في ذلك الوقت بشأن تيطس، أنه غادر قاصدًا دلماطية، أي يوغسلافيا الحديثة. قد يكون بولس هو الذي أرسله إلى هناك، مع أن الآية تولّد

انطباعًا عامًا عن أن بولس رجل مستوحد ومتروك.

يتحدّث الرسول عن تيطس بصفته **ابنه الصريح في الإيمان**. وقد يعني هذا أن بولس كان الأداة في اهتداء تيطس، لكن ذلك ليس بالأمر الضروري. فبولس أيضًا خاطب تيموثاوس بوصفه ابنه الصريح في الإيمان (١تي١: ٢)، مع أنه يُحتمل أن تيموثاوس كان قبلاً تلميذًا عندما التقاه بولس أوّل مرة (أع١٦: ١). إذًا قد تعني هذه العبارة أن هذين الشابّين أظهرا فضائل روحية مشابهة لتلك التي يتحلّى بها بولس، وأنه كان يجمع بينهم جميعًا رابط ودّي في مجال الخدمة المسيحية.

يتمنّى بولس لهذا الشاب القائم مقامه، **نعمة ورحمة وسلامًا**. **النعمة**، في هذا السياق، تعني القدرة الإلهية الضرورية للحياة والخدمة؛ **والرحمة**، هي الشفقة على الحاجة الملحّة في الإنسان، أمّا **السلام**، فيعني التحرّر من القلق، والذعر، والارتباك، على الرغم من الظروف المعاكسة. إن المصدر المشترك لهذه جميعها هو **الله الآب والرب يسوع المسيح مخلصنا**. يشير روح الله هنا ضمنًا إلى تساوي الآب والابن بشكل كامل، إذ ربط بينهما بصفتهما مصدر **النعمة، والرحمة، والسلام**.

٢ـ شيوخ في الجماعة (١: ٥-٩)

١: ٥ عندما ترك بولس كريت، كان هناك بعض **الأمور** التي ما تزال تحتاج إلى **ترتيب**: من معلّمين كذبة يجب إسكاتهم، إلى الحاجة الماسة إلى مرشدين روحيين مشهود لهم داخل الجماعات. لذا ترك تيطس فيها لكي يعالج هذه الأمور.

نحن لا نعلم كيف وصل الإيمان المسيحي إلى كريت. ربّما يغلب الظن أن الكريتيين الذين كانوا في أورشليم في يوم الخمسين (أع٢: ١١) عادوا ومعهم الأخبار السارة، وقد تلا ذلك تأسيس كنائس محلّية. كما لا نستطيع أن نعرف يقينًا متى كان بولس في كريت مع تيطس. ما نعلمه هو أنه مَرّ بكريت خلال رحلته إلى روما كأسير (أع٢٧: ١٢)، لكن الظروف لم تكن مؤاتية للقيام بخدمة فعّالة في الكنائس. وبما أن سفر الأعمال لا يذكر أن بولس حضر مرة أخرى إلى كريت، فأغلب الظن أن الزيارة حصلت بعد حبسه الأول في روما. نستطيع، من خلال تتميم عمل استكشافي بسيط للكتاب المقدس، أن نعيد جميع مراحل السّفر التالية، وذلك في ضوء اقتباسات متنوعة من كتابات بولس.

أولاً، أبحر بولس من إيطاليا إلى كريت في طريقه إلى آسيا (غرب تركيّا حاليًا). وإذ ترك تيطس في كريت (تي١: ٥)، سافر إلى أفسس، عاصمة أسيا. وفي أفسس، أناب عنه تيموثاوس لدحض بعض التعاليم المُضلّة المندسّة وسط المؤمنين (١تي١: ٣، ٤). ثم بعد أن أُطلق سراحه، أبحر عبر بحر إيجه إلى مكدونية، ومن ثم إلى فيلبي (في١: ٢٦). أخيرًا، سافر في الاتجاه الجنوبي الغربي عبر اليونان إلى نيكابوليس، حيث خطّط لقضاء الشتاء فيها، وحيث كان يتوقّع من تيطس الانضمام إليه (تي٣: ١٢).

يذكر هوميروس أنه كان في كريت ما بين التسعين والمئة مدينة. ويبدو أن كنائس قد تكوّنت في العديد منها. وفي كل واحدة من هذه الكنائس، كانت الحاجة تدعو إلى تعيين **شيوخ** يتحمّلون المسؤولية.

الشيوخ

الشيوخ، بحسب مفهوم العهد الجديد، هم رجال مسيحيون ناضجون بلا لوم، يقومون في الجماعة المحلية بدور القيادة الروحية.

إن التسمية **شيخ** التي تشير إلى النضج الروحي عند المرء، هي مترجمة من الكلمة اليونانية بْرِسْبُتِرُوس *presbuteros*. أمّا الكلمة اليونانية إِبِسْكُبُس *Episkopos* والمترجمة ***أسقفًا أو ناظرًا*** (أيحارسًا) فتُستخدم أيضًا للإشارة إلى الشيوخ ولوصف مهامهم كرعاة مكلَّفين برعاية قطيع الله.

يُفهم بشكل عام، أن التسميتين "شيوخ" و"أساقفة" تشيران إلى الأشخاص أنفسهم، وذلك للأسباب التالية: في أعمال ٢٠: ١٧، يدعو بولس القسوس (الشيوخ) في الأصل *presbuteroi* من أفسس؛ ثم عاد فخاطبهم في العدد ٢٨ بصفتهم أساقفة *episkopoi* وفي ١بطرس ٥: ١، ٢. يستخدم بطرس أيضًا الكلمتين بمعنى واحد. إن مؤهلات الأساقفة *episkopoi* في ١تيموثاوس ٣، هي في جوهرها، المؤهلات نفسها المعروضة في تيطس ١ بشأن الشيوخ *presbuteroi*

أصبحت الكلمة أسقف تشير، بحسب الاستخدام المعاصر، إلى رجل دين يشرف على أسقفية أو أبرشية تضم مجموعة من الكنائس في منطقة ما. لكن الكلمة في العهد الجديد، لم تعنِ هذا قط. فالترتيب الكتابي يقضي أن يكون عدة أساقفة في كنيسة واحدة، لا أسقف واحد مسؤول عن عدة كنائس.

كذلك يجب عدم الربط بين الشيخ و"الراعي" بالمفهوم الحديث، المسؤول بشكل خاص عن الوعظ والتعليم، وممارسة "الفرائض" داخل الكنيسة المحلية. ومن المسلَّم به، على العموم، أنه لا وجود لشخص كهذا في الكنيسة الأولى. فقد كانت الجماعات الأولى تضم فقط قديسين، وأساقفة، وشمامسة (في ١: ١). لم ينشأ النظام الإكليريكي إلّا بعد حلول القرن الثاني.

إن الرعاية، بمفهوم العهد الجديد، هي إحدى المواهب الخدماتية الخاصة التي وهبها المسيح المُقام، لأجل تكميل القديسين وتأهيلهم للقيام بعمل الخدمة (أف ٤: ١١، ١٢). وعمل الرعاة والشيوخ، يتشابه من عدة أوجه: فكلاهما مدعوان إلى الاهتمام بقطيع الله وبإطعامه، لكن الاثنين لا يتساويان أبدًا. ومن المعقول أنه قد يكون للرعاة خدمة تجوالية، فيما يرتبط الشيخ، عادة بجماعة محلية واحدة.

يوضّح العهد الجديد مهام الشيوخ بشكل مفصل تمامًا:

١- إنهم يرعون كنيسة الله ويعتنون بها (أع ٢٠: ٢٨؛ ١تي ٣: ٥؛ ١بط ٥: ٢).

٢- إنهم يتولّون حماية الكنيسة من الهجومات، سواء أتتهم من الخارج أم من الداخل (أع ٢٠: ٢٩-٣١).

٣- إنهم يتولّون القيادة الروحية والتدبير، بواسطة الإرشاد والتوجيه لا بالتسلّط القسري (١تس ٥: ١٢؛ ١تي ٥: ١٧؛ عب ١٣: ٧، ١٧؛ ١بط ٥: ٣).

٤- يكرزون بالكلمة، ويقدّمون التعليم الصحيح، ويصدّون أولئك الذين يناقضونه (١تي ٥: ١٧؛ تي ١: ٩-١١).

٥- يُديرون الاجتماعات المخصَّصة لبحث المسائل العقائدية والأخلاقية، ويفصلون في النزاعات (أع ١٥: ٥، ٦؛ ١٦: ٤).

٦- تشكّل حياتهم مثالاً للرعية وقدوة (عب ١٣: ٧؛ ١بط ٥: ٣).

٧- يسعون إلى ردّ أنفس المؤمنين الذين سبقوا وأُخذوا في زلّة (غل ٦: ١).

٨- يسهر و نعلى نفو سا لمسـيحيينفي ا لجما عة ا لمحلية ، كمنسو فيعطو نحسـا بًا (عب١٣: ١٧).

٩- يما ر سـو نخد مة صلا ة ، خا صة لأ جل المرضى(يع٥: ١٤-١٥).

١٠-يُعنَونبالاهتمامبفقراءالقديسين(أع١١: ٣٠).

١١- يشـا ر كو نفيإ عطا ء تو صية بر جا ل مو هو بينلكيقو مو ا با لعملا لذ يد عا هما إليـه الله(١تي٤: ١٤).

منا لو ا ضحأ نا لشيو خفيا لكنيسـة ا لأ و لى ، كا نيتمتعيينهممنقبَلالر سـلأو ممثليهم (أ ع ١٤: ٢٣؛تي ١: ٥) . إلا أ نهذ ا لا يعنيأ نهكا نلـد ى ا لر سلو ا لمند و بينعنهما لسـلطا نلجعلر جل شيخًا . يحتا جا لمر ء ، لكييصبحأ سـقفًا ، إ لى تأ هيلإ لهيو إ لى ر غبة بشـر ية فيآ ن . فا لر و ح ا لقد سو حد ه ، يستطيعأ نيصنعإ نسا نًا ما أ سـقفًا أو ناظرًا (أ ع ٢٠: ٢٨)، لكنيبقى على ا لمـر ء أن يشـتهيهذ اا لعمل (١تي ٣: ١) . يجبتو افر هذ ه الثنائيةبينماهو إلهيوماهوبشري.

لميكنفيبد ا ية تأ سيسا لكنيسـة ا لمحلية ، أيا ما لر سل ، شـيو خ ، كا نا لمؤ منو نجميعهم منا لمبتد ئين . لكن ، معمر و ر ا لو قت ، أ عـدّ اللهبعضا لقو ملهذ ها لخدمة ا لهامة . و بمـا أن ا لعهد ا لجد يد لميكنبعد متو ا فرًا فيصيغتـه ا لمكتو بة ، لميكنا لمسـيحيو ن ، على ا لعمو م ، يعر فو نا لمؤ هلا تا لتييجبأ نيتمتعبهـا الشيو خ ، و لامسؤ و لياتهمأيضًا . أما ا لر سـل و أعو انهم ، فكانو ا ، و حد هم ، على علمبذلك . لقـد كانو ا ، فيضو ء هذ ها لمعر فة ، يُفر ز و نا لر جـا ل ا لذ ينتنطبقعليهما لمقا ييسـا لإ لهية ، و على هذ ا الأساس، كانو ايسمّو نهمعلنًا.

اليو م ، العهد ا لجد يد ، فيصيغتها لكا ملـة ، في حو ز تنا ، و نعر فما هو ا لشـيخ ، و ما يُفتر ضفيه أنيعمل ؛ و عند ما نر ى أنا سًا أكفا ء يخد مو نبنشـا ط كنظار ، فإننانعر فهم (١تس ٥: ١٢)، ونطيعهم(عـب ١٣: ١٧) . إذًا ، لا يتعلّق لأمر باختيار نا نحنلهـم ، بلبالحر ييمعر فةمنأُقامهماللهلهلتتميمعمله.

إنمؤ هلاتالشـيو خمذكورةفي ١تيموثاوس٣: ١- ٧، و هي مذكو ر ة أيضًا فيتيطس . أحيانًا نسـمع تعليقًا مفا د ها أنلا و جو د فيأ يا منا لأ ســا قفة تنطبق عليهمشـر و طا لكتا با لمقد س . إنهذ ها لفكر ة تقلل منقيمة سلطا نا لكتا با لمقد س ، إ ذ تشـير ضمنا إ لى أ نا لكتا بلا يعنى ما يقو لهحقًا . فا لمقا ييـس ا لمعر و ضة لا تحتو ى على أيشـي ء غير معقو ل ، أ و منغير ا لممكنبلو غه . نحننظهر مـد ى ا نخفا ضمسـتو ا نا ا لر و حيعند ما نعا ملا لكتا ب المقدسعلىأنهمثاليللغايةوبعيدعنمتناولنا.

١ : ٦ الشـيوخ هـم رجـال بـلا لوم، أي لا شـك في نزاهتهـم. فلا يمكـن أن تثبت عليهم أيـة تهمة لجهة تعليـم مغلوط أو تصرف مشـبوه. وهذا لا يعنى أنهم معصومون مـن الخطإ، لكن في حال اقترفوا إسـاءات طفيفة، يعجّلون في تصحيح الأمر بواسـطة الاعتراف لله، والاعتذار من الشخص أو الأشخاص المعنيين، وردّ الأمور إلى نصابها إذا دعت الحاجة.

إن الصفـة الثانيـة التي تقضـى أن يكون بعـل امرأة واحـدة قـد تم فهمها، على الأقل، بسـبع طـرق مختلفة: ١ـ علـى الرجل أن يكون متزوجًـا. ٢ـ ينبغي ألا يكون مطلقًـا. ٣ـ وألا يكـون متزوجًا بعد طـلاق. ٤ـ أو أن يتـزوج مرة أخرى بعد وفاة زوجته الأولى. ٥ـ ينبغي ألا يكـون مقترنًا بعدة زوجات معًـا. ٦ـ ألا يقتنى خليلات

أو محظيات. ٧- يحتاج، على العموم، إلى أن يكون زوجًا وفيًا، مثالاً في التدقيق في المسائل الأخلاقية والأدبية.

إن كانت العبارة **بعل امرأة واحدة** تعني أنه يفترض فيه أن يكون متزوجًا، فلا بد إذًا، بحسب المنطق عينه، أن يكون لديه أولاد، لأن هذه الآية أيضًا تفيد أن على أولاده أن يكونوا مؤمنين. طبعًا، يستحسن أن يكون للشيخ عائلة، عندئذ يتسنى له أن يعالج، بأكثر فطنة، المشاكل العائلية التي قد تبرز داخل الجماعة. وإنه لأمر مُستبعد أن تحظر هذه الآية على أي رجل غير متزوج أن يكون شيخًا.

كذلك، فمن المرجَّح أنها لا تعني ضرورة ألا يكون مطلقًا في أية حال من الأحوال، إذ أن المخلِّص علَّم أن الطلاق مسموح به في حالة واحدة على الأقل (مت ٥ : ٣٢؛ ١٩ : ٩)*.

كما أنها لا تحظر، البتة، إعادة الزواج بعد حالة الطلاق. مثلا على ذلك، مؤمن بريء كليًا قد تطلب زوجته غير المؤمنة الطلاق منه لكي يتسنى لها أن تتزوج من جديد. في مثل هذه الحال، لا تقع المسؤولية على المسيحي. وبما أن الزواج الأول، فسخه الطلاق الذي دعا إليه الشريك غير المؤمن والذي عاد وتزوج ثانية، فللمؤمن حرية في أن يتزوج مرة أخرى.

إن التفسير القائل إن الشيخ الذي يعود ويتزوج بعد وفاة زوجته الأولى، يفقد بذلك أهليته للخدمة، ينقضه المبدأ المذكور في ١ كورنثوس ٧ : ٣٩ «المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيًا. ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد في الرب فقط».

فالعبارة **بعل امرأة واحدة تعني**، بكل تأكيد، إنه ينبغي ألا يكون لدى الشيخ زوجات متعددة أو خليلة أو عشيقة. وبالاختصار، تعني أنه ينبغي له أن يكون في حياته الزوجية قدوة في النقاوة والطهارة أمام قطيع الرب.

إضافة إلى ذلك، يجب أن يكون **له أولاد مؤمنون ليسوا في شكاية الخلاعة ولا متمردين**. يحمل الكتاب المقدس الأهل مسؤولية ما تؤول إليه حالة أولادهم (أم٢٢ : ٦). فعندما تنعم العائلة بالقيادة الحسنة وتتربى في طريق كلمة الله، غالبًا ما يتبع الأولاد القدوة الحسنة التي يرونها في والديهم. وإذ لا يستطيع الأب تقرير أمر خلاص أولاده، يبقى بوسعه، مع ذلك، أن يعدّ لولده طريق الرب من خلال إرشاده بكلمة الله، وتأديبه بمحبة، وتجنب الرياء وعدم الانسجام في حياته الشخصية.

إن كان الأولاد مسرفين ومتمردين على سلطة الأهل، فالكتاب المقدس يحمل الأب المسؤولية، لأن الملامة تقع على إهماله وعلى تساهله. فإن كان عاجزًا عن تدبير بيته حسنًا، فلا يمكنه أن يكون شيخًا ناجحًا، لأن المبدأ نفسه ينطبق في كلتا الحالتين (١تي٣ : ٥).

ثمة تساؤل حول الصفة المختصة **بالأولاد المؤمنين**: هل تنطبق عليهم ما داموا تحت وصاية ذويهم، أو تشمل أيضًا أولئك الذين استقلوا عن البيت. نحن نفضل الرأي الأول متذكرين أن للتربية البيتية، في نهاية المطاف، التأثير الرئيسي في الخُلق.

١ : ٧ الأسقف هو وكيل الله، فهو لا يساعد في رعاية الجماعة الخاصة به فقط، بل قد انتُدب أيضًا لإدارة شؤون الله داخل جماعة الله. ثم يشدد الوحي، وللمرة الثانية، على ضرورة أن يكون **بلا لوم**، وهذا التكرار

*يرى الكثيرون أنه، وأن كان من المسموح الطلاق في حالات محدّدة، إلا أن من يتولى مسئولية في الكنيسة يجب ألا يكون مطلقًا.

لا يقصد منه إلا تأكيد الفكرة. إنه يحتاج إلى أن يكون فوق كل الشبهات على كلا الصعيدين العقائدي والأدبي. عليه أن يكون **غير معجب بنفسه**، أو غير متشبث برأيه كما ورد في بعض الترجمات. فإذا كان المرء عنيدًا بشكل يعتبر معه أنه هو وحده على حق، نافيًا بذلك آراء الآخرين، وغير مذعن وغير صبور مع المناقضين، تنتفي جدارته بالقيادة الروحية. فالشيخ هو مرشد موجِّه، وليس ديكتاتورًا عقائديًا.

ينبغي ألاّ يكون **غضوبًا**. فإن ورث طبعًا متقلبًا أو مزاجيًا، عليه أن يكون قد تعلّم ضبطه؛ وإن كان طبعه حادًا، وجب أن لا يسمح له البتة بالظهور حتى لا يتأذّى الآخرون منه.

يجب ألاّ يكون **مدمن الخمر**. ففي أيامنا هذه، قد يبدو هذا الأمر بدائيًا للغاية، حتى لا تكاد الحاجة تدعو إلى ذكره. وهنا تحضرنا حقيقة كون الكتاب المقدس قد كُتب لجميع الحضارات والثقافات. إن مشروب المسيحيين المألوف في بعض البلدان هو الخمر، وهنا يبرز خطر التمادي والاسترسال في احتسائها، مع ما يرافق ذلك من سلوك غير لائق. هذا الافتقار إلى الانضباط الذاتي والسلوك القويم، هو المنهي عنه هنا.

يميز الكتاب المقدس بين حُسن استخدام الخمر وإساءة استخدامها. لقد كان مسموحًا استعمالها، باعتدال، كمشروب عندما حول يسوع الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل (يو٢: ١-١١). كذلك، دعا بولس تيموثاوس إلى استخدام الخمر لأغراض طبية (١تي ٥: ٢٣، راجع أيضًا أمثال ٣١: ٦). إن إساءة استخدام الخمر، يشجبها الكتاب المقدس في أمثال ٢٠: ١؛ ٢٣: ٢٩-٣٥.

فكلمة الله لا تنهى عن شرب الخمر نهيًا قاطعًا، إلا أن الامتناع عنها يصبح ضروريًا عندما يؤذي شرب الخمر أخًا ضعيفًا أو يُعثره (رو١٤: ٢١). وهذا هو الاعتبار الأول الذي يدفع العديد من المؤمنين في جميع أنحاء العالم إلى الإحجام عن شرب الخمر بالكلية.

أما بالنسبة إلى الشيخ، فالأمر لا يتعلق بحظر شرب الخمر، بل بالحري بالإسراف في استخدامها، الأمر الذي يؤدي إلى المشاجرة.

وعليه ألا يكون ضرابًا، فلا يلجأ إلى استخدام العنف والقوة الجسدية. سمعنا عجبًا، عن رجال دين لا يتمتعون بالمؤهلات الكتابية، يقومون، من حين إلى آخر، بضرب الأعضاء المعاندين في الرعية؛ إن هذا الشكل من القهر لأجل التخويف، هو محظور من الأسقف.

ينبغي ألا يكون **طامعًا في الربح القبيح**، عازمًا، مهما كلّف الثمن، على أن يصبح غنيًا، غير آبه للأساليب المتبعة لبلوغ هذا الهدف.

لقد صدق صموئيل جونسون *Samuel Johnson* في قوله: "إن شهوة الذهب، الفاقدة الإحساس والعديمة الرحمة ، هي آخر فساد عند الإنسان المنحط". فالشيخ الحقيقي يمكنه أن يصرح مع بولس: «فضة أو ذهب أو لباس أحد لم أشته» (أع ٢٠: ٣٣).

١: ٨ ومن الناحية الإيجابية، ينبغي للأسقف أن يكون **مضيفًا للغرباء**. فيكون بيته مفتوحًا دائمًا في وجه الغرباء، وأصحاب المشاكل، واليائسين والمتألمين. يجب أن يكون مَرتعًا للشركة المسيحية المفرّحة حيث يُستقبل كل ضيف كأنه الرب نفسه.

ثم يحتاج إلى أن يكون **محبًا للخير** أو للصلاح،

للناس الصالحين، وللأشياء الصالحة أيضًا. فحديثه، ونشاطاته، وارتباطاته تظهر أنه منفصل عن كل ما هو مشبوه، أو موضع تساؤل، أو خطإ.

عليه أن يكون **متعقلاً**، أي حَذرًا وسيد نفسه. وهذه الكلمة عينها مستخدمة أيضًا في تيطس ٢: ٢، ٥، ٦، ١٢ حيث تُبرز فكرة كونه حساسًا، وضابطًا لنفسه، وصاحيًا.

ويحتاج الشيخ في تعامله مع الآخرين أن يكون **بارًا**، على أن يكون **ورعًا** في علاقته بالله. أما في ما يختص به هو شخصيًا، فينبغي له أن يكون **ضابطًا لنفسه**. وهذا ما أشار إليه بولس في غلاطية ٥: ٢٢،٢٣ «ثمر الروح هو... تعفف (أي ضبط نفس)». وهذا يعني أن كل شهوة وكل رغبة عند الإنسان مُستأسرة لطاعة المسيح. إذ إن الروح القدس هو وحده مصدر القدرة على تحقيق هذا، يبقى على المؤمن من جهته أن يتعاون ويكون منضبطًا.

١: ٩ على الأسقف أن يكون صحيحًا في الإيمان فيتمسك بكل إصرار، بالعقائد الروحية الصحيحة التي علّم بها الرب يسوع والرسل، والتي بقيت محفوظة لنا في العهد الجديد. عندئذ فقط يستطيع أن يقدم للقديسين علوفة متوازنة من **التعليم الصحيح**، وهكذا يفحم مناقضي الحق.

هذه هي مؤهلات المرشدين الروحيين ضمن الجماعة المحلية. والجدير ملاحظته هو أن لا شيء مذكور عن القدرة الجسدية، أو الإنجازات الثقافية، أو المركز الاجتماعي، أو الفطنة. فقد يكون منظف الشارع الأحدب، البسيط والأمي، شيخًا كفوءًا بسبب ما يتمتع به من مستوى روحي رفيع. ولا يصح القول، كما نسمع أحيانًا، إن المؤهلات التي تجعل المرء ناجحًا في العمل هي نفسها التي تؤهله للقيادة في الكنيسة.

ثمة فكرة لابد من ذكرها، وهي أن الصورة التي تظهر عن الشيخ التقي، ليست هي نفسها التي تظهر عن رجل يدبّر متكلمين للعظة، أو يرصد أموالاً، أو يوقع على عقود ترميم البناء، وكفى! بل إن الشيخ الحقيقي هو المعنى في العمق وبشكل فعّال بالحياة الروحية للكنيسة. وذلك من خلال تعليمه، وحثّه، ووعظه وتشجيعه، وتوبيخه وتقويمه.

٣ـ ضلال في الجماعة (١: ١٠-١٦)

١: ١٠ كان في الكنيسة الباكرة "حرية الروح" أي كان الرجال أحرارًا للاشتراك في الاجتماعات كما يرشدهم الروح القدس. يصف بولس اجتماعًا "مفتوحًا" كهذا في ١كورنثوس ١٤: ٢٦ فيقول: «فما هو إذًا أيها الإخوة؟ متى اجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور له تعليم له لسان له إعلان له ترجمة. فليكن كل شيء للبنيان». تعتبر مثالية الحالة التي يكون فيها الروح القدس حرًّا هكذا كي يتكلم بواسطة أعضاء مختلفين من الجماعة. لكن بسبب ما هي عليه الطبيعة البشرية، فحيثما توافر هذا النوع من الحرية، يكاد يظهر دائمًا رجال يسيئون استخدامها بتعليمهم المضل؛ يُصفّون عن البعوضة بشكل غير بنّاء، أو يتكلمون بمماحكات لا نهاية لها والروح القدس منها براء.

هذا ما حصل داخل جماعات كريت. لقد أدرك بولس ضرورة وجود قيادة روحية قوية لضبط هذه التجاوزات، والإبقاء بالتالي على حرية الروح. كذلك تحققت له ضرورة الاعتناء جيدًا بتعيين شيوخ لديهم الكفاءة اللازمة من كل جهة. من أجل هذا، يعيد هنا ذكر الأوضاع التي حتمت التحرك على وجه السرعة لتعيين شيوخ في الكنائس.

لقد قام رجال **كثيرون متمردون**، يتحدون سلطة

الرسل ناكرين تعليمهم. **يتكلّمون بالباطل ويخدعون العقول**، لم تكن فائدة روحية تُرجى من كلامهم، بل إنه بالحري سلب الناس الحق وقادهم نحو الضلال.

كان في طليعة المزعجين جماعة من **أهل الختان**، أي من المعلّمين اليهود الذين يدّعون أنهم مسيحيون، ويصرّون مع ذلك على ضرورة أن يختتن المسيحيون ويحفظوا الناموس. إن هذا يتضمن إنكارًا عمليًا لكفاية عمل المسيح من كل وجه.

١: ١١ إن رجالاً من أمثال هؤلاء، يجب إسكاتهم. يجب أن يتعلموا أن الجماعة ليست ديمقراطية وأن ثمة حدودًا لحرية الكلام. كانوا **يقلبون بيوتًا بجملتها**. هل يعني هذا أنهم كانوا يدسّون تعاليمهم السامة على انفراد في البيوت ومن وراء الكواليس؟ إن هذا الأسلوب هو المفضل عند أصحاب البدع (٢تي٣: ٦). كما أن دوافعهم كانت مشبوهة أيضًا، فقد كانوا يسعون إلى تحصيل المال، فيستعملون الخدمة واجهة لتجارة رابحة، وكانت رسالتهم تروق النزعة الناموسية عند الإنسان، إذ تشجّعه على الاعتقاد أن باستطاعته كسب رضى الله من طريق الممارسات الدينية، على الرغم من أن حياته قد تكون فاسدة ومنحطة. لقد علموا من أجل **الربح القبيح** ما لم يكن لهم الحق في أن يعلّموه.

١: ١٢ بولس، في هذه الآية، يذكّر تيطس بصنف الناس الذين يتعامل معهم مقتبسًا أقوال إبمنيدس *Epimenides*، أحد شعراء الكريتيين الذي عاش نحو عام ٦٠٠ ق.م. فهذا الوصف الصريح واللاذع يصح على المعلمين الكذبة بشكل خاص، وعلى **الكريتيين** بشكل عام. إن الشاعر اعتبر أنهم دائمًا **كذابون، وحوش رديّة، بطون بطالة**. يبدو أن لكل شعب خصائصه القومية، لكن تستطيع قلة قليلة فقط أن تفوق الكريتيين في الفساد؛ لأن الكذب أصبح عادة أصيلة ونمط حياة عندهم. كانوا أشبه بحيوانات ضارية، يعيشون للانغماس في شهوات فاسدة جامحة. وإذ كانوا ذوي حساسية ضد العلم المُجدي، ومدمنين على الجشع، كانوا يعيشون حياة مادية صرفًا، كلها مطبخ، وليس فيها قاعة عبادة واحدة.

١: ١٣ يقوم الرسول بتثبيت صحة الوصف وصدقه. لقد كان على تيطس أن يتعامل مع موادٍّ خام لا يُرجى منها خير، مما يكفي لتفشيل أي مرسل. لكن بولس لم يكتب بغية التخفيض من قيمة أولئك القوم، أو لإسداء المشورة لتيطس للتخلي عنهم؛ ففي الإنجيل رجاء لأشر الناس. من أجل هذا، ينصح بولس مساعده بأن **يوبخهم بصرامة لكي يكونوا أصحاء في الإيمان** المسيحي. فذات يوم، قد يصبح هؤلاء الرجال، لا مؤمنين مثاليين فحسب، بل شيوخًا أتقياء ضمن الكنائس المحلية أيضًا. يزخر هذا المقطع بالتشجيع للمسيحيين الذين يخدمون في حقول صعبة من العالم (وأي حقل ليس صعبًا؟) فوراء فظاظة الشعب وغباوته وعدم تجاوبه، ثمة دائمًا رؤيا تحوّلهم إلى قدّيسين طيّبين، أطهار ومثمرين.

١: ١٤ كان على تيطس في معرض توبيخه للمعلّمين الكذبة، أن يحذّر الشعب من مغبة الإصغاء إلى **خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن الحق**. لأن المتهودين كانوا يعيشون في عالم من الأوهام الدينية ومن الفرائض المتمحورة حول ما هو طاهر أو غير طاهر من الأطعمة. وحفظ أيام معينة، وتجنّب النجاسة الطقسية. وعن هذا الأمر، كتب بولس في كولوسي ٢: ٢٣ «التي لها حكاية حكمة بعبادة نافلة وتواضع وقهر الجسد، ليس بقيمة ما من جهة إشباع البشرية».

١: ١٥ إن ما ذكره الرسول في هذه الآية، حامت حوله تفاسير كثيرة مغلوطة، الأمر الذي يحتم شرحًا مفصلاً. لقد كتب يقول: «**كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهرًا بل قد تنجس ذهنهم أيضًا وضميرهم**».

إن فهمنا العبارة **كل شيء طاهر للطاهرين** خارج نطاق قرينتها، على اعتبار أنها تصريح عن حق مطلق يتناول الحياة من جميع جوانبها، نتورط في مأزق. هذا لأن ليس كل شيء طاهرًا حتى بالنسبة إلى أصحاب الأذهان الطاهرة. ومع هذا، فقد عمد الناس فعلاً إلى استخدام هذه الآية لتسويغ المجالات الخلاعية، والأفلام المثيرة للأحاسيس، بل النجاسة بعينها. وهذا مما ذكر بطرس أنه تحريف للكتاب المقدس لهلاك أنفسهم (٢بط٣: ١٦).

ليكن واضحًا أن لا علاقة البتة لهذه الآية بأي من الأشياء الخاطئة بحد ذاتها، والتي يشجبها الكتاب المقدس. فينبغي لنا أن نفهم معنى هذا القول المأثور في سياق قرينته. لم يكن بولس يبحث في هذه الآية مسائل لها علاقة مباشرة بالآداب ليقول إنها حق أو باطل. لكنه كان بالأحرى يتناول مسائل لا تمت إلى الآداب بصلة، كانت مدنسة على الصعيد الطقسي في نظر اليهودي العائش تحت الناموس، لكنها مشروعة تمامًا بالنسبة إلى المسيحي الذي يحيا في النعمة. المثل الواضح هنا هو أكل لحم الخنزير. فقد كان هذا محظورًا على شعب الله في العهد القديم، لكن الرب يسوع بدل كل ذلك بقوله إن لا شيء إذا دخل في الإنسان يقدر على أن ينجسه (مر٧: ١٥). إنه في تصريحه هذا، اعتبر كل الأطعمة طاهرة (مر٧: ١٩). وبولس بدوره، رد صدى هذا الحق بقوله: «ولكن الطعام لا يقدمنا إلى الله. لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص» (١كو ٨: ٨). إن قوله **كل شيء طاهر للطاهرين**، يعني أن الأطعمة جميعها هي طاهرة بالنسبة إلى المؤمن المولود ثانية، أما بالنسبة إلى **النجسين وغير المؤمنين، فليس شيء طاهرًا**. ليس ما يأكله الإنسان هو الذي يدنسه بل ما يخرج من قلبه (مر٧: ٢٠-٢٣). فإن كانت حياة المرء الداخلية غير طاهرة، أو كان لا يؤمن بالرب يسوع، فلا يكون بذلك أي شيء طاهرًا له. لن يوفر له حفظ نواميس الطعام أو شيء آخر أي نفع، بل يحتاج إلى الاهتداء، إلى الحصول على الخلاص باعتباره عطية مجانية، عوضًا عن محاولة كسبه من طريق الشعائر والناموس. إن الناس الفاسدين، نجسة أذهانهم كما ضمائرهم. لقد تنجست قواهم الفكرية وأيضًا قدراتهم الأدبية أو الأخلاقية. فالمسألة لا تتعلق بنجاسة طقسية خارجية بل بنجاسة وفساد داخليين.

١: ١٦ من الواضح أن بولس يتكلم هنا عن المعلّمين الكذبة، أو المتهودين، فيذكر عنهم أنهم **يعترفون بأنهم يعرفون الله، ولكنهم بالأعمال ينكرونه**. يظهرون أمام الناس كأنهم مسيحيون مؤمنون، لكن حياتهم لا توافق ادعاءهم هذا. ثم يتوسع الرسول في تأنيبه العنيف لهم، إذ يصفهم بأنهم **رجسون غير طائعين، ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون**. كان سلوكهم ممقوتًا، وفي نظر الله، يظهر سجلّهم أنهم عصاة. كما أن لا نفع منهم من جهة الأعمال الصالحة من نحو الله أو الإنسان. هل كان يحق لبولس، ضمن نطاق المحبة المسيحية، أن يتحدث عن الآخرين بهذه الكلمات القاسية؟ الجواب عن هذا هو: نعم بكل تأكيد! لأن المحبة لا تموه الخطية أبدًا. كان هؤلاء القوم يشوهون الإنجيل، ويهينون شخص الرب يسوع وعمله، ويضلون أرواح الناس. إن التساهل مع هؤلاء المخادعين هو خطية.

٤- حياة عملية في الجماعة (٢: ١-١٥)

٢: ١ كانت حياة المعلمين الكذبة لعنة لا بركة. ففي سلوكهم كانوا ينكرون حقائق الإيمان العظيمة. من يستطيع أن يقيس مقدار ما يسيء به إلى الشهادة المسيحية أولئك الذين تظاهروا بالقداسة، لكنهم عاشوا على خلاف ذلك؟ كانت المهمة الموكولة إلى تيطس (كما إلى خدام الرب الحقيقيين جميعهم) تعليم ما **يليق بالتعليم الصحيح**. كان عليه أن يسدّ الهوة الرهيبة القائمة ما بين ما يقوله شعب الله بشفاههم وما يفعلونه في حياتهم. وهذا هو الموضوع الأساسي للرسالة: العيش بموجب العقيدة الصحيحة، وإظهار ذلك من خلال أعمال صالحة. تعطي الآيات التالية أمثلة عملية عما يجب أن تكون عليه هذه الأعمال الصالحة.

٢: ٢ أولاً يطالعنا **الشيوخ**، لا الشيوخ بالمعنى الرسمي، أو الأساقفة، بل الرجال المسنون والناضجون. عليهم أن يكونوا **صاحين**. وهذا يعني، بشكل أساسي، الاعتدال في استخدام الخمر، لكنه يفيد أيضًا على نطاق أوسع توخي الحذر في مختلف مجالات السلوك. ينبغي لهم أن يكونوا **ذوي وقار** واحترام، لكن غير عابسين، فلدى الآخرين ما يكفي من مشاكلهم الخاصة. يحتاج الرجال المتقدمون في السن إلى أن يكونوا **متعقلين**، أي أن تتحلى حياتهم بالتوازن وبالحكمة. عليهم أيضًا أن يكونوا **أصحاء في الإيمان**. قد تعمل الشيخوخة على توليد بعض القساوة والمرارة والتشاؤم في قلوب فئة من الناس. بالمقابل، إن الأصحاء في الإيمان هم شكورون، وإيجابيون، ومعشرهم ممتع. كذلك يجب أن يكونوا أصحاء في **المحبة**. فالمحبة غير متمحورة على الذات، إنها تفكر في الآخرين وتعبّر عن نفسها بواسطة العطاء. وفوق هذا، يجب أن يتحلوا **بالصبر**، لأن للشيخوخة ضعفاتها وعجزها، وغالبًا ما يصعب تقبّلها. إن الأصحاء في الصبر يحتملون تجاربهم بثبات وجلد.

٢: ٣ على **العجائز** أيضًا أن يكنّ **في سيرة تليق بالقداسة**. ليحمنا الرب من النساء المستهترات اللواتي أفكارهن متمحورة على الأمور السخيفة. يجب ألا يكن **ثالبات**. إن الكلمة التي يستخدمها بولس هنا هي الكلمة اليونانية التي تشير إلى الشيطان (ديابلوس *Diabolos*). وهذه الكلمة معبرة للغاية، لأن الثرثرة الشريرة شيطانية في كل من مصدرها وجوهرها. كما ينبغي ألا يكن **مستعبدات للخمر**. وفي الواقع، يجب ألا يكن مستعبدات لأي صنف من الطعام، أو الشراب، أو الدواء. ومع أنه لم يخصص للنساء العجائز أية خدمة تعليم جهارية في الكنيسة، فقد أسندت إليهن مهمة التعليم في البيت. ومن يستطيع أن يقيس الإمكانيات المتضمنة في خدمة كهذه!

٢: ٤ ينبغي للعجائز بالتحديد أن **ينصحن الحدثات**. إن السنوات التي قضينها في دراسة كلمة الله وفي الاختبارات العملية تؤهلنها لنقل المشورة الثمينة إلى المبتدئات في الحياة. وإلاّ، يكون قد قُدِّر لكل جيل جديد أن يتعلّم بحسب الطريقة الصعبة، مكرِّرًا أخطاء الأمس. وبينما تقع مسؤولية التعليم هنا على العجائز، يبقى على كل شابة حكيمة أن تنمي علاقة الصداقة الحميمة بمسيحيات تقيات أكبر منها سنًا، فتلتمس منهن النصح والتقويم.

يجب أن تتعلم المرأة الشابة أن **تحب** زوجها. وهذا لا يتوقف عند حدود توديعه بلياقة عند مغادرته البيت قاصدًا مركز عمله. بل إنه يشمل الأساليب التي

لا تكاد تحصى والتي تستطيع بواسطتها أن تعبِّر عن احترامها الحقيقي له: باعترافها بترؤسه في البيت، وبعدم اتخاذ أي قرار جوهري وهام بمعزل عنه، وبالإبقاء على البيت مرتَّبًا، وبالاعتناء بمظهرها الخارجي، وبالعيش ضمن حدود إمكانياتهما، وبالاعتراف الفوري بالخطإ، وبالمسامحة الكريمة، وبالإبقاء على خطوط التواصل مفتوحة باستمرار، وبالإحجام عن انتقاد الزوج أو مناقضته أمام الآخرين، وبتولي دور المساند أو الداعم عندما تسوء الحال.

يجب أن يتعلمن أن **يحببن أولادهن** ويكون ذلك بقراءة الكلمة الإلهية والصلاة معهم، وبالتواجد في البيت عندما يرجعون من المدرسة أو اللعب، وبالتأديب بحزم وعدل، وبإعدادهم لأجل خدمة الرب عوضًا عن أن يكونوا للعالم - ولجهنم!

٢: ٥ على الحدثات أن يتعلمن كيف يكن **متعقلات**. وهذا يعني التحلي بشعور مرهف لجهة ما هو مناسب لهن كمسيحيات، وتجنب التطرف. يجب أن يكن **عفيفات**، وفيات لأزواجهن، يبتعدن عن كل نجاسة في الفكر والقول أو الفعل. وأيضًا يكن **ملازمات لبيوتهن**، فيتحققن أن هذا الأمر هو خدمة إلهية من الممكن القيام بها لمجد الله. ينبغي للنساء الأكبر سنًا أن يقتنعن بأن مقدار الكرامة السامية تترتب على خدمة الرب في البيت كزوجة وأم أكثر من العمل في حقول الصناعة أو التجارة وإهمال البيت والعائلة. يجب أن تتعلم الحدثات كيف يكنّ **صالحات**: طريقة العيش في سبيل الآخرين، يكنّ مضيافات، ومعطاءات كريمات، لا متمحورات على الذات يجبن الامتلاك. وأيضًا **خاضعات لرجالهن**، معترفات بأنهم المترئسون في البيت. وفي حال كانت المرأة تملك من المهارات والقدرات ما يفوق ما لدى زوجها، عليها، عوضًا عن التسلط عليه، أن تشجعه وتساعده على أن يكون أكثر فعالية في مجالي القيادة البيتية والخدمة في الكنيسة المحلية. وإذا ما تجرّبت بأن تتشكى وتتذمر، فلتسارع إلى مقاومة ذلك مستعيضة عنه بالشكر. وهذا كله لكي **لا يُجدَّف على كلمة الله**، أو يقلّل من قيمتها. إن بولس، وعلى مدار هذه الرسالة، يظهر أنه يعي أية تعييرات تلحق بقضية الرب عندما لا يسهر شعبه حتى يعيشوا حياة منسجمة مع الحق الإلهي.

٢: ٦ بولس لم يحث تيطس على تعليم النساء الحدثات. فمن قبيل اللياقة، ترك هذه الخدمة في عهدة النساء الأكبر سنًا. لكن تيطس مدعو إلى أن **يعظ الأحداث**، فينبههم، بشكل خاص، على أن يكونوا **متعقلين** ويضبطوا نفوسهم. وهذه المناشدة ضرورية، لأن الصبا هو زمن النشاط والحيوية، والطاقة التي لا تعرف الهدوء، والميول المتقدة. لذا يحتاجون إلى أن يتعلموا الرزانة والاتزان، وذلك في كل نواحي الحياة.

٢: ٧ كذلك لدى بولس نصيحة خاصة لتيطس. فينبغي لتيطس، كونه موكّلاً على خدمة جهارية في الكنائس، أن يحرص على تقديم نفسه **قدوة في الأعمال الحسنة**. يجب أن يكون هناك توافق تام بين التعليم الذي يقدمه وطريقة سلوكه. ومن الضروري أن يتميز تعليمه **بالنقاوة والوقار والإخلاص**. **فالنقاوة** تعني أنه ينبغي للتعليم أن يتناسب مع الإيمان المُسلَّم مرة للقديسين؛ **والوقار**، يقصد به بولس أن يكون التعليم محترَمًا وملموسًا، أما **الإخلاص**، فهو صفة المعلم الصادق الذي لا يمكن إفساده وتحويله عن طريق الحق.

٢: ٨ وكلامًا صحيحًا غير ملوم. إنه الكلام الذي لا يقبل التأويل. وهو الخالي من المواضيع الجانبية، ومن الأفكار العقائدية المُستحدثة، والمفاهيم المهروسة التي تستحوذ على العقول لفترة من الزمن، والكلام الفظ، وما شابه ذلك. هذا الصنف من الخدمة، لا يمكن مقاومته. فالذين يقاومون التعليم الصحيح، يعروهم الخجل، وذلك بعدم تمكنهم من العثور على أية ثغرة في ترسانة المؤمن. فلا حجة أقوى أو أشد من الحياة المقدسة.

٢: ٩ توجه الآن تعليمات خاصة إلى العبيد. علينا أن نتذكر أن الكتاب المقدس يعترف بمؤسسات ربما لا يوافق عليها بالضرورة. مثلاً، يدون لنا العهد القديم ظاهرة اقتران العديد من الآباء بأكثر من زوجة واحدة، مع أن تعدد الزوجات ما كان يومًا ضمن مشيئة الله لشعبه. ولم يوافق الله قط على مظالم العبودية وممارساتها المتوحشة؛ فذات يوم سيتحمل السادة مسؤولية أعمالهم. والعهد الجديد لا يحرّض على قلب نظام العبودية من طريق الثورة وأعمال العنف. ومن جهة أخرى، فإن العهد الجديد يشجب إساءة استخدام نظام العبودية، ويبطله بقوة الإنجيل. والتاريخ يظهر زوال شرور العبودية حيثما كُرز بكلمة الله وتم تعليمها على نطاق واسع.

لكن في الوقت الحاضر، وحيثما العبودية قائمة، فإن العبد ليس محرومًا أفضل ما في المسيحية، لأن باستطاعته أن يشهد لقوة المسيح المغيّرة، كما يمكنه أن يزيّن تعليم مخلِّصنا الله. يخصص العهد الجديد مكانًا للعبيد أكثر من ذلك الذي يخصصه لحكام الأمم. وقد يشير هذا ضمنًا إلى مدى أهميتهم النسبية في ملكوت الله. ينبغي **للعبيد** المسيحيين أن **يخضعوا**، إلا عندما يعني الأمر عصيانًا للرب. ففي هذه الحال لا يبقى لهم سوى الرفض ومكابدة النتائج بصبر كمسيحيين حقيقيين. ينبغي لهم أن يكونوا مرضيين من كل وجه، أي منتجين من جهة الكمية والنوعية في آن. وكل هذه الخدمة، يمكنهم القيام بها كما للمسيح، وهو الذي سيجازي عليها بالتمام. يجب أن يكونوا **غير مناقضين** أي غير وقحين. لقد كان للعديد من العبيد، في الأيام الأولى للمسيحية، امتياز اقتياد سادتهم إلى معرفة الرب يسوع، وذلك أساسًا بسبب الفرق الشاسع بينهم وبين العبيد الوثنيين.

٢: ١٠ ومن جملة هذه الفوارق التي لا يرقى إليها الشك هو أن المسيحيين لم يكونوا ليسقطوا في الخطية التي يتعرض لها سائر العبيد، أي **الاختلاس**. كانت آداب المسيحي تلزمه العيش بإستقامة كاملة. وهل ما يدعو بعد إلى الاستغراب لأن العبيد المسيحيين كانوا يجلبون أثمانًا أغلى في المزادات العلنية؟ كانوا على العموم قد تعلّموا تقديم **أمانة** كاملة وحقيقية. كانوا يحتاجون إلى أن يكونوا بالتمام أهلاً للثقة حتى يزينوا تعليم مخلّصنا الله في كل ناحية من حياتهم أو خدمتهم. إن ما كان يصح في ذلك الوقت على العبيد المسيحيين، يصح اليوم على الموظفين المسيحيين.

٢: ١١ تشكّل الأعداد الأربعة التالية صورة قلميّة موجزة عن خلاصنا. لكن مع إكبارنا لهذه الدرة الأدبية، علينا ألا نفصلها عن قرينتها. كان بولس يحث أعضاء عائلة الله جميعهم على التصرف المنسجم مع إيمانهم. وها هو الآن يظهر أن أحد الأهداف العظمى لخلاصنا هو إنتاج صنف من حياة القداسة الخالية من الزغل.

لأنه قد ظهرت نعمة الله. إن **نعمة الله** في هذه الآية هي في الواقع مرادفة لابن الله، لأن نعمة الله **ظهرت** مع زيارة الرب يسوع لكوكبنا، لا سيما عندما بذل نفسه من أجل

خطايانا. لقد ظهر من أجل خلاص **جميع الناس**. فعمله البديلي يكفي لفداء الجميع. إن عرضًا صادقًا لنوال الصفح والغفران هو مقدَّم **للجميع**. لكن الذين يقبلون المسيح حقًا، بوصفه الرب والمخلِّص، هم الذين يخلصون. لا إشارة هنا، أو في أي مكان آخر من الكتاب المقدس، إلى أن كل واحد سينال الخلاص في نهاية المطاف. فالخلاص الكوني الشامل هو كذبة مصدرها الشيطان.

٢: ١٢ إن النعمة التي تخلصنا هي نفسها التي تعلمنا في مدرسة القداسة. ثمة أمران محظوران في هذه المدرسة نحتاج إلى أن نتعلم رفضهما. أولهما **الفجور** بمعنى اللاتدين. أما الثاني فهو **الشهوات العالمية**، وهي لا تقتصر على الخطايا الجنسية فحسب، بل تشمل أيضًا شهوة الغنى، والقوة، واللذة، والشهرة، أو أي شيء آخر هو دنيوي أو عالمي في جوهره.

أما من ناحية الإيجابية، فالنعمة تعلّمنا أن نعيش **بالتعقل والبر** مع الآخرين، **وبالتقوى** في النور النقي لحضوره تعالى معنا. هذه هي الفضائل التي يجب أن تميِّزنا في العالم الحاضر، حيث كل ما حولنا سينحل. فالعالم هو مكان تغربنا، لا بيتنا النهائي.

٢: ١٣ وإذ نعيش كغرباء في العالم، يلهمنا رجاء رائع يشتمل أيضًا على **ظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح**. هل يتعلق هذا بالاختطاف، عندما يظهر المسيح في المجد للكنيسة وينقلها إلى السماء (١تس٤: ١٣-١٨)؟ أم الإشارة هنا هي إلى مجيء المسيح ممجَّدًا ليملك، ويسحق أعداءه، ويقيم مملكته (رؤ١٩: ١١-١٦)؟ نحن نؤمن بأن بولس يتكلم في الأساس هنا عن الاحتمال الأول: مجيء المسيح لأجل عروسه، الكنيسة. ولكن، سواء كان مجيئه عريسًا، أو ملكًا، فعلى المؤمن أن يكون مستعدًا ومترقبًا لمجيئه المجيد.

٢: ١٤ إذ ننتظر رجوع الرب، لا ننسى أبدًا الهدف من مجيئه الأول ومن بذله ذاته. لقد **بذل نفسه** لا ليخلِّصنا من مُذنبية الخطية ومن عقابها فحسب، بل **ليفدينا من كل إثم** أيضًا. ولو أن الأمر اقتصر على إلغاء عقاب الخطية مع الإبقاء على سلطتها في حياتنا، لظل خلاصنا جزئيًا.

كذلك، فقد بذل نفسه لكي **يطهِّر لنفسه شعبًا خاصًا**. غالبًا ما نكون شعبًا خاصًا، لكن ليس كما قصد هو. فهو لم يَمُت ليجعل منا شعبًا غريب الأطوار، لكن شعبًا ينتمي إليه على نحو خاص، لا إلى العالم ولا إلى نفوسنا. وقد بذل نفسه لأجلنا أيضًا لكي نكون **غيورين في أعمال صالحة**. يجب أن نمتلىء حماسة للقيام بأعمال إحسان باسم الرب ومجده. فعندما نفكر في غيرة الناس وحماستهم في حقول الرياضة، والسياسة، والتجارة، يجب أن يحملنا ذلك على الغيرة منهم، ويلهمنا للقيام بأعمال صالحة.

٢: ١٥ تلك كانت **الأمور** التي كلف تيطس مهمة تعليمها: كل ما جرى بحثه في الأعداد السابقة، ولا سيما المقاصد من آلام المخلص، كان عليه أن **يعظ** أو يشجِّع القديسين ليعيشوا حياة التقوى العملية، **ويوبخ** أيًا من الذين يناقضون التعاليم الرسولية، سواء بالكلام أو بالحياة. ولم يكن يحتاج إلى أن يعتذر من جهة قيامه بخدمة قوية فعَّالة، بل عليه أن يتممها بكل سلطان وبجرأة الروح القدس. **لا يستهن بك أحد**: فتيطس لا ينبغي له أن يراعي أي وخز ضمير من جراء حداثته، أو لأنه من الأمم أصلاً، أو لأن لديه عدم أهليّة طبيعية. إنَّه كان يتكلم بكلمة الله، وهنا يكمن الفرق كلُّه.

٥- مناشدات في الجماعة (٣: ١-١١)

٣: ١ كان علــى تيطــس أيضًــا أن **يذكّــر** المؤمنين داخل الجماعــات الكريتية بمســؤولياتهم تجــاه حكومتهم. إن الحكومات، بحســب المفهوم المســيحي، هي جميعها مرتّبة من الله (رو١٣: ١). وقد يكون نظام ما غير مســيحي، أو حتى مناقضًا للمســيحية، لكن أية حكومة هي أفضل من عدم وجــود حكومة على الإطلاق. فغياب الحكومة يؤدي إلى الفوضى والفلتان، وفي وضع كهذا، لا يستطيع الشــعب أن يستمر لوقت طويل. فإن الحاكم، وإن كان لا يعرف الله على صعيد شــخصي، فهــو يبقى من حيث مركزه الرسمي «مســيح الــرب» (أي أن الرب أقامه في منصبه)، وعلى هذا الأســاس يجب احترامــه. إذًا، على المســيحيين أن **يخضعوا للرياسات والسلاطين**. لكن في حال تركت الحكومة نطاقها المعــين لها من الله، وأمرت المؤمن بعصيــان الله، عندئــذ ينبغي للمؤمن أن يرفض، بحســب المبــدإ في أعمال ٥: ٢٩: «ينبغــي أن يطاع الله أكثر من النــاس». وإن عوقب، فعليه أن يحتمــل العقاب بوداعة كما للرب. ينبغي ألاّ يشــترك أبدًا في ثورة على الحكومة وألاّ يسعى إلى قلبها من طريق العنف.

المسيحي والعالم الحاضر

على المؤمنين أن يطيعوا الشرائع، بما فيها دفع الضرائب، وأن يعاملوا الذين وُضعوا في السلطة عليهم بكل احترام، وأن يكونوا مواطنين خاضعين للقوانين، لديهم احترام وطاعة. بيد أن ثمة ثلاثة نواحٍ يختلف فيها المسيحيون إلى حد بعيد لجهة مسؤولياتهم اللائقة. وهذه النواحي تشمل ما يتعلق بعمليات الانتخابات، أو السعي إلى تبوّء منصب من طريق الانتخاب، أو الذهاب إلى الحرب ومعاملة القوات المسلّحة. بالنسبة إلى الأمرين الأولين، فالكتاب المقدس يساعدنا بواسطة التوجيهات التالية:

١- المسيحيون هم في العالم، لكنهم ليسوا منه (يو١٧: ١٤، ١٦).

٢- إن نظام العالم بأكمله هو موضوع في الشرير، وقد حكم عليه الله بالهلاك (١يو ٢: ١٧؛ ٥: ١٩؛ يو١٢: ٣١).

٣- ليست مهمة المسيحي أن يحسّن العالم، بل أن يرى الناس يخلصون منه.

٤- على الرغم من أن كل مؤمن هو بالضرورة تقريبًا مواطن في بلد أرضي، ينبغي أن انتماءه الرئيسي هو سماوي، لدرجة أنه ينبغي له أن يرى نفسه كغريب ونزيل هنا على الأرض (في٣: ٢٠، ١بط٢: ١١).

٥- لا يجوز لأي جندي من أن يخرط في أخذ مهمة فعلية أن يتبطأ من أمور هذه الحياة لئلا يثير استياء من جنّده (٢تي٢: ٤).

٦- قال الرب يسوع: مملكتي ليست من هذا العالم (يو١٨: ٣٦). ونحن، سفراءه، يعوزنا أن ننظر هذا الحق للعالم.

٧- إن أمور السياسة تميل بطبيعتها إلى أن تصبح فاسدة. وعلى المسيحيين أن ينفصلوا عن الشر (٢كو٦: ١٧، ١٨).

٨- بالنسبة إلى الانتخابات، يقترع المؤمن عادة لمن يظن أنه رجل مستقيم نزيه. لكن مشيئة الله تقتضي أحيانًا أن يترفع أدنى الناس (دا ٤: ١٧). وفي أحوال كهذه، كيف يستطيع معرفة إرادة الله وإطاعتها؟

أما فيما يتعلق بالمسألة الأخرى وهي هل

ينبغيللمؤ منا لذ ها بإ لى ا لحر بعند ما تأ مـر ه د و لتهبذ لك . فإ نمنيؤ يد و منير فضكليهمـا يعر ضا نحججًا قو ية ، لكنيبد و ليأ نا لميـز ان العا ميميلإ لى عد ما لا شـتر اك . فا لمبا د ئ المذكو ر ة آنفًا لها علاقة با لمشـكلة هذ ه ،لكن ثمةمبادئإضافية:

١- قا لر بنا : « لو كا نتمملكتيمنهذ ا العـا لم لكا نخداميجا هدون»(يو ٣٦١٨).

٢- لقد قا لأ يضًا : « كلا لذ ينيأ خذ و نا لسـيف بالسيفيهلكون»(مت ٢٦: ٥٢).

٣- إنفكر ة انتز اعحيا ة بشـر ية تتا فيتعليما لر ب القائل: «أحبو اأعداءكم»(مت ٥: ٤٤).

با ستطا عة ا لذ ينير فضو نحملا لسـلا ح أ نيكو نو ا شكو ر ينإ نكا نو ا يعيشـو نفيبلد يسمحلهمبأ نيتسجّلو كمسـتتكفينضمير يًا ، (أ يمنير فضو نا لخد مة فيا لقو ا تا لمسـلحة لا عتبا ر ا تتتعلقبا لمبا د ئا لأ خلا قيـة أ و الدينية)،أوأنيصنفوا غير محاربين.

با لمقا بل ، نجد ا لعد يد منا لمسـيحيينقد ا شـتر كو ا فعلاً فيا لمعر كة بكر ا مة . لقد لا حظو ا أ نا لعهد ا لجد يد يتكلمحسـًنا عنبعض قا د ة ا لمئة أ مثا لكر نيليو سـو يو ليو س . كما أ نهيستخد مصو رً ا منو حيا لحيا ة العسـكر ية لتو ضيحا لحر با لمسيحية (مثلاً أ فسـس ٦: ١٠ - ١٧) . فإ نكا نتا لجند ية خطأ بحـد ذ ا تها ، يصعبعلينا تفسير قو لبو لسـعند ما د عا نا إ لى أ ننكو نجنو دً ا صا لحيناليسـو ع ا لمسيح . و مهما كا نا لمو قفا لشـخصي لكلو ا حد ، فعلى أ حد هم أ لا يد ينأ و لئكا لذ يـن لا يو ا فقو نها لر أ يلأ نا لمجا ليتسـعهنا لاختلافالآراء.

ثمة التز اماً آخر لتلميذ المسـيح،و هو أنيكون مستعدً ا لكلعملصا لح . ليسـتكلا لو ظا ئف و الأشغا لمشـّر فة . إ نمعظما لحملا تا لد عائية ا لمعا صر ة مبنية على ا لكذ ب ،كما أ نبعـض ا لمؤ سسـا تتبيعمنتو جا تمضر ة بصحة ا لإ نسا نعلى ا لصعيد ا لر و حيو ا لنفسـي و ا لجسـد ي . لذ ا يجبتجنبو ظا ئفكهذ هبكل ضمير صالح.

٣: ٢ علـى المسـيحي ألا يطعن في أحـد. **كذلك، يحظر الكتاب المقـدس في أماكن أخرى التكلم بالسـوء على الحاكم (خر ٢٢: ٢٨؛ أع٢٣: ٥). وهذه وصية يليق بالمسـيحيين أن يبقوا يتذكرونها وسـط حـرارة المعركة الانتخابيـة أو زمن الضيق والاضطهاد. لكن نطاق هذه التوصية موسّع هنا لحماية كل إنسان من الهزء والافتراء لتشـويه السمعة، والإهانة أو التعدي عليه بالكلام. كم من أحزان ومشـاكل يمكن تجنبها لو أطاع المسـيحيون هذه التوصية البسيطة أن لا يطعنوا في أحد.**

علينـا أن نكون غير مخاصمين. لأن كل مشـاجرة تفـترض أن يكـون هناك اثنـان يتخاصمـان. عندما كان أحدهم يحاول اسـتدراج الدكتور أيرونسايد *Dr. Ironside* إلى خصام حول مسألة ليست بذات أهمية، كان يجيـب بالقول: "حسـنًا، يا أخـي العزيز، عندما ندخل السـماء، سـيكون أحدنا على خطإٍ ولعله أنا". كانت هذه الروح تضع حدًّا لكل نزاع.

علينـا أن نتحلـى بالحلـم. من الصعـب التفكير في هذه المزية من دون التفكير في الرب يسـوع. كان لطيفًا في تصرفاته، ومسالمًا وينشد المصالحة. كما ينبغي لنـا أن نظهر كل وداعة أو كياسـة، لجميع الناس. يبدو

أن عملية إدراج الكياسة في جملة الفضائل المسيحية التي يجب تعلمها، أتت في محلها. فهي في جوهرها تعني التفكير في الآخرين بتواضع، وجعلهم في المقدمة، والتكلم والتصرف بلطف. الكياسة تخدم الآخرين قبل الذات، وتتحين الفرص لتقديم المساعدة، وتعبِّر للوقت عن تقديرها لما تم الحصول عليه من لطف. والكياسة لا تظهر أبدًا بمظهر خشن أو فظ.

٣: ٣ مرة أخرى، يعود الرسول فيعرض، ضمن فقرته المشدّدة على الشؤون الخلقية، درة أدبية نفيسة تتناول عقيدة خلاصنا، مع التشديد على أن حياة الأعمال الصالحة هي القصد من الخلاص. وقد جاء التسلسل الفكري على النحو التالي: ١- حالتنا قبل الخلاص (ع٣)؛ ٢- طبيعة خلاصنا (ع٨).

إن الصورة التي يعرضها الله عنّا قبل خلاصنا ليست مشرِّفة. ففي اداعتنا معرفة كل الأجوبة، كنا، في الواقع، **اغبياء**، عاجزين عن إدراك الحقائق الروحية، وغير حكماء في خياراتنا، في سلوكنا. كنا **غير طائعين لله** وربما للوالدين وللسلطان أيضًا. كنا **ضالين**، مخدوعين من قِبَل الشيطان وحكمنا الملتوي على الأمور، نخرج باستمرار عن السبيل الصحيح، فينتهي بنا المطاف إلى الشوارع المسدودة. كنا **مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة**، وتحت سيطرة حياة تقضُّ مضجعها الأفكارُ الشريرة ومختلف أنواع الخطايا. كانت حياتنا مليئة **بالخبث والحسد** تجاه الآخرين. كنا أشقياء في عدم محبتنا وفي أنانيتنا، مسببين أيضًا الشقاوة للآخرين. **ممقوتين مبغضين بعضنا بعضًا**: يالـه من تعليق محزن على الحياة التي تُطوي في الخصام مع الجيران، وفي منافسة زملاء العمل، والتناحر بين المنافسين في التجارة أو بين العائلات المتخاصمة!

٣: ٤ إن هذه الصورة القاتمة عن فساد الإنسان، تأتي لتقطعها فقرة من أعظم فقرات الكتاب المقدس المستهلة بحرف الاستدراك "**ولكن**". يالعمق شكرنا من أجل حروف الاستدراك التي تظهر في اللحظة الحاسمة مُعلنة تدخُّل الله المعجزي لإنقاذ الإنسان من تدمير ذاته. لقد أطلق عليها أحدهم التسمية "حواجز الله التي تعترض الإنسان في طريقه إلى الجحيم".

ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه. لقد حصل هذا عند ظهور الرب يسوع في العالم قبل أكثر من ١٩٠٠ سنة. بمعنى آخر، **ظهر** صلاح الله وإحسانه من نحونا، عندما نلنا الخلاص. لقد أعلن صفاته هذه من خلال إرساله الابن ليموت من أجل عالم من الخطاة المتمرّدين. إن الكلمة "**إحسان**" تتضمن هنا أسمى معاني المحبة واللطف والشفقة في إلهنا. كما أن العبارة «**مخلصنا الله**» تشير إلى الله الآب – مخلِّصنا، بمعنى أنه أرسل ابنه إلى العالم كذبيحة الخطية من أجلنا. كذلك، فالرب يسوع يُدعى أيضًا الله مخلِّصنا (٢: ١٣)، لأنه احتمل العقاب الضروري حتى ننال الصفح والغفران.

٣: ٥ لقد **خلّصنا** من مُذنبية خطايانا جميعها ومن عقابها – ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً. فإن خطايانا كلها كانت ستجري في المستقبل لـمّا مات المخلِّص، وموته قد كفَّر عنها جميعًا. لكن إحدى أبسط الحقائق الكتابية وأوضحها تبقى الأصعب على الإنسان من جهة قبولها، وهي أن الخلاص **لا** يتأسس على الأعمال الصالحة، فالإنسان لا يصبح مسيحيًا بمجرد أنه يحيا حياة مسيحية. ليس الأناس الصالحون هم الذين يمضون إلى السماء. والكتاب المقدس يشهد باستمرار على عجز الإنسان

عن إمكانية كسب الخلاص أو استحقاقه (أف٢: ٩؛ رو ٣: ٢٠؛ ٤: ٤، ٥؛ ٩: ١٦؛ ١١: ٦؛ غل٢: ١٦؛ ٣: ١١). فالإنسان لا يستطيع أن يخلِّص نفسه بواسطة الأعمال الصالحة، لأن أعمال بره جميعها هي كخرق بالية في نظر الله (إش٦٤: ٦). لا يستطيع أحد أن يحيا حياة مسيحية ليصبح مسيحيًا، لسبب بسيط وهو أن لا قدرة له على أن يحيا حياة مسيحية، حقًا، ليس الأناس الصالحون هم الذين يمضون إلى السماء، بل بالحري الخطاة الذين خلصوا بنعمة الله.

الأعمال الصالحة لا تكسب الخلاص، لكنها نتيجة للخلاص. وحيثما وُجد خلاص حقيقي، يُفترض أن توجد أعمال صالحة. وهكذا نقرأ أن الله لم يخلِّصنا **بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته**. فالخلاص هو عمل رحمة، لا عمل برّ، لأن البرّ أو العدل يطالب بإنزال العقوبة المستحقة؛ أما الرحمة، فتوُجِد أسلوبًا بارًا يمكن على أساسه عبور الدينونة.

الله خلصنا **بغُسل الميلاد الثاني**. الاهتداء المسيحيّ هو في الواقع خليقة جديدة (٢كو٥: ١٧)، وهذه الخليقة الجديدة تُستعار لها هنا صورة الاغتسال. إنها الصورة عينها التي استخدمها الرب يسوع عندما علّم تلاميذه عن وجود غسل واحد فقط للولادة الجديدة، مقابل اغتسالات كثيرة ضرورية مما يعلق علينا من أدران (يو١٣: ١٠). لا علاقة لغُسل الميلاد الثاني هنا بالمعمودية. فهو ليس غُسلًا جسديًا بواسطة الماء، بل غُسل أدبي بواسطة كلمة الله (يو١٥: ٣). كما أن المعمودية ليست رمزًا لهذا الغُسل وإنما تشير بالحري إلى عملية الدفن مع المسيح للموت (رو٦: ٤).

مذكور أيضًا عن ولادتنا الجديدة أنها **تجديد الروح القدس**. إن روح الله يُحدث تغييرًا عجيبًا، فلا يجعل ثيابًا جديدة على الإنسان العتيق، بل يجعل إنسانًا جديدًا داخل الثياب. والروح القدس هو العامل الفعّال في التجديد، في حين أن كلمة الله هي الأداة في ذلك.

٣: ٦ الله سكب الروح القدس بغنى علينا. إن الروح القدس يسكن في كل مؤمن منذ لحظة ولادته الثانية، ولديه كل الكفاية لإحداث التجديد المجيد المُشار إليه آنفًا. وإن الروح القدس يُعطى لنا **بيسوع المسيح مخلِّصنا**. فكما كانت وفرة بلاط فرعون وغناه من نصيب أولاد يعقوب بواسطة يوسف، كذلك أيضًا بركات الله، بما في ذلك بركة روحه التي لا يُعبَّر عنها، تصل إلينا بواسطة الرب يسوع. فيسوع هو "يوسف" بالنسبة إلينا.

نجد، في الأعداد الثلاثة التي مرّت، ذكرًا لأقانيم الثالوث الأقدس جميعًا في ما يتعلق بخلاصنا: الله الآب (ع٤) الله الروح القدس (ع٥) والله الابن (ع ٦).

٣: ٧ النتيجة الفورية لتجديدنا هي أنه إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية. فمن خلال الفداء الذي بيسوع المسيح، يحسبنا الله أبرارًا بعمل نعمته العجيبة. وهكذا نصبح ورثة لكل ما أعدّه الله للذين يحبونه. فرجاؤنا هو كل ما يشتمل عليه كوننا مع المسيح ومثله طوال الأبدية.

٣: ٨ هل يقصد بولس، عندما يذكر العبارة «**صادقة هي الكلمة**»، المقطع السابق، أو بقية الآية؟ يبدو أن جوهر حجته هي أنه بعد أن أُنقذنا من كل هذه الأمور بواسطة خلاص عظيم كهذا، ينبغي لنا أن نحيا حياة

على مستوى دعوتنا العُليا.

كان على تيطس أن يشدِّد على هذه الأمور (المذكورة في الأعداد ١-٧) في خدمته في كريت، **لكي يهتم الذين آمنوا بالله أن يمارسوا أعمالاً حسنة**. ومع أن التعبير الأعمال الحسنة قد يشير إلى وظائف شريفة، يرجَّح أن المعنى العام للأعمال الحسنة هو المقصود هنا. فالتعليم الداعي إلى سلوك ينسجم مع إقرارنا الشفوي بأننا مسيحيون، هو ممتاز ونافع. ينبغي أن يكون كل تعليم مقرونًا بتطبيق شخصي وعملي.

٣: ٩ طبعًا، ثمة دائمًا فخاخ يجب تجنبها ضمن الخدمة المسيحية. ففي أيام بولس، كانت هناك **مباحثات غبية** حول الأطعمة الطاهرة وغير الطاهرة، وحول القوانين المختصة بالسبت، وحفظ الأيام المقدسة، كذلك برزت مشاحنات حول **الأنساب**، على كل من الصعيدين الملائكي والبشري. كما كان هناك نزاع حول تنظيمات معقدة تم إلصاقها بالشريعة ممَّا جعل بولس يشمئز معتبرًا إياها غير نافعة وباطلة.

باستطاعة خدام الرب في أيامنا أن يأخذوا، بجدية، بنصيحة بولس، إذ يتجنبون المسائل الهامشية التالية:

- الانشغال بالأساليب عوضًا عن الحقائق الروحية، مثلاً: النزاعات القديمة حول استخدام نبيذ مختمر أو شراب العنب، وخبز معجون بخميرة أو فطير، وكأس مشتركة أو كؤوس فردية وكأن لهذه المسائل الأهمية الأولى في الكتاب المقدس.
- المماحكة بالكلام.
- التمسك بجزء من الحق الكامل، أو بحق واحد دون غيره، مع صرف النظر عن الأجزاء الأخرى.
- تفسير الكتاب المقدس مجازيًا إلى حد جعله مبهمًا.
- اللاهوت الذي يصفّي عن البعوضة، لكنه لا يبني أحدًا.
- التيهان عن كلمة الله إلى مزالق سياسية، حملات مسيحية على هذا الأمر أو ذاك.

إنها لمأساة كبرى أن نهدر الوقت الثمين على هذه الأمور، فيما الناس من حولنا هالكون.

٣: ١٠ إن الرجل المتخصّص في هذه المسائل الهامشية هو مبتدع، غالبًا ما ينفرد بنغمة واحدة على كمانه لكي يعزفها حتى الموت، وسرعان ما يجمع حوله زمرة من الناس السلبيين، ضاربًا بالآخرين عرض الحائط. إنه في عمله هذا يشقّ الجماعة بدلاً من التخلي عن تسليته بالعقائد. فالكنيسة بغنى عن أن تحتمل مثل هذا الهراء، وإن كان بعد تحذير أو تحذيرين يرفض التراجع عن أفكاره، فيجب فرزه من شركة الكنيسة المحلية، كما ينبغي للمسيحيين أن يحجموا عن تكوين علائق اجتماعية معه على أمل أن هذا النبذ من الشركة الأخوية يقوده إلى التوبة، وإلى اعتبار أكثر اتزانًا لكلمة الله.

٣: ١١ ولئلا يظن أحد أن إنسانًا مثل هذا لا يشكّل تهديدًا خطرًا على الكنيسة. يحكم عليه الرسول بأنه **قد انحرف وهو يخطىء محكومًا عليه من نفسه**. فتصرفه هو تحريف للمسيحية أكثر مما هو تعريف بها. إنه يخطيء بتكوينه طائفة أو حزبًا، وهو محكوم عليه من نفسه بسبب تمسّكه بشرّه بعناد بعد تحذيره من قِبَل بعض الإخوة المسؤولين.

٦ـ **الخاتمة** (٣: ١٢-١٥)

٣: **١٢** تختتم الرسالة ببعض التعليمات الموجزة الموجّهة إلى تيطس. فبولس خطط لإرسال **أرتيماس** أو **تيخيكس** لمساعدة تيطس في كريت. لقد قابلنا تيخيكس سابقًا (أع٢٠: ٤؛ أف٦: ٢١؛ كو٤: ٧). من دون أن نقابل **أرتيماس**. ويظهر من ٢تيموثاوس ٤: ١٢ أن تيخيكس أُرسل إلى أفسس بدلاً من كريت، وهكذا يرجّح أن يكون **أرتيماس** هو الذي حل مكانه في كريت. كان على تيطس فور وصوله أن يتجه إلى **نيكابوليس** حيث عزم بولس أن **يشتي**. كان هناك سبع مدن، على الأقل، تسمى نيكابوليس في تلك الأيام، لكن يجمع معظم المفسرين على الاعتقاد أن تيطس اختار تلك التي في إبيروس *Epirus* غرب اليونان.

٣: **١٣** كان على تيطس أن يستقبل زائرين: **زيناس الناموسي وأبلوس**. ولربما كانا من حمل الرسالة من بولس إلى تيطس. إن الكلمة «الناموسي» وردت "المحامي" في بعض الترجمات. وكان هناك صنفان من المحامين في تلك الأيام: الكتبة الذين كانوا يفسّرون الشريعة الدينية، والمحامون الذين يُعنون بالمسائل القضائية المدنية. يبقى علينا أن نقرر لأي من الفئتين كان **زيناس** ينتمي. فأنا أميل إلى اعتباره من الصنف الأول، مقدّرًا أنه دُعي إلى مساعدة تيطس على وضع حد للنزاعات المستديمة حول ناموس موسى (ع٩). وفي حال كان محاميًا مدنيًا، فلابد من أنه كان شريفًا ومستقيمًا. وأبلوس ربما يكون الشخص ذاته المذكور في أعمال١٨: ٢٤-٢٨؛ ١كورنثوس. إن دعوة بولس تيطس إلى تجهيز هذين الرجلين للسفر، كانت تتضمن استضافتها خلال مكوثهما في كريت، مع إمدادهما بكل ما يحتاجون إليه في السفر.

٣: **١٤** كان على تيطس أيضًا أن يعلّم المسيحيين الآخرين (**من لنا**) أن يظهروا حسن ضيافة، ويعتنوا بالمريض والمحزون، وأن يكونوا كرماء مع المحتاجين. وعوضًا عن أن يعملوا فقط لسد احتياجاتهم الخاصة، كان عليهم أيضًا أن يشاركوا المعوزين بأموالهم (راجع أفسس ٤: ٢٨)، وهذا ينقذهم من شقاء الأنانية ومأساة حياة عقيمة وبلا جدوى.

٣: **١٥** يجب ألا ننظر إلى التحيات الأخيرة كأنها مبتذلة وغير هامة. ففي البلدان التي فيها يشكّل المسيحيون المؤمنون قلة قليلة، وحيث هم مبنوذون ومضطهدون، تبث هذه الكلمات اللطيفة في النفوس قدرًا عظيمًا من المحبة والصداقة والتشجيع. **جميع الذين** كانوا مع الرسول أرسلوا تحيتهم إلى تيطس، كما أن تيطس دُعي إلى تبليغ جميع الذين **يحبون** بولس وجماعته **في الإيمان**، أخلص التحيات والتمنيات. يختتم بولس الرسالة بالغرض الذي سيطر على حياته، أي نعمة الرب.

النعمة مع جميعكم آمين.